المحاضرة الخامسة

عناصر المحاضرة

-تعريف الاستعمار -أشكال الاستعمار- ظروف نشأه الاستعمار -أسباب الاستعمار -أهداف الاستعمار وذرائعه

تعريف الاستعمار لغة :

الاستعمار لفظه محدثة مشتقه من عمر ، واستعمره في المكان أي جعله يعمره ، ومنه قوله تعالى (هو الذي أنشأكم في الأرض واستعمركم فيها) هود :**61**

-فالأصل اللغوي : يفيد معنى الطلب التعمير والسعي لتحقيق العمران ، لكن الواقع لا علاقة له بالمعنى اللغوي.

تعريف الاستعمار اصطلاحا :- اصطلاحا

التعريف الأول : الاستعمار (أو الكولونيالية من كلمه **colonia** باللغة اللاتينية) هو مصطلح يشير إلى ظاهره سياسيه ، اجتماعيه وثقافيه تشمل إقامة مستوطنات أوروبيه خارج أوروبا منذ القرن **15** واستيلاء الدول الأوروبية سياسيا واقتصاديا على مناطق واسعة في جميع القارات الأخرى ،بما في ذلك إخضاع الشعوب القاطنة فيها لحكم الدول الأوربية واستغلال كنوزها الطبيعية وعمل السكان المحليين لصالح الدول الأوروبية.

التعريف الثاني : الاستعمار ظاهرة تهدف إلى سيطرة دوله قويه على دوله ضعيفة وبسط نفوذها من أجل استغلال خيراتها في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ،وهي بالتالي نهب وسلب منظم لثروات البلاد المستعمرة ،فضلا عن تحطيم كرامه الشعوب تلك البلاد وتدمير تراثها الحضاري والثقافي ،وفرض ثقافة الاستعمار على أنها الثقافة الوحيدة القادرة على نقل البلاد المستعمرة إلى مرحلة الحضارة .

أشكال الاستعمار : تطورت أشكال الاستعمار عبر تطوره التاريخي ،ولهذا نجد أشكالا متعددة لهذه الظاهرة ، أهمها:

الاستعمار القديم : الاستعمار القديم هو أقدم أنواع الاستعمار ارتبط بالقوة العسكرية ممن خلال التخريب والسيطرة على الدولة بصورة واضحة وليس بها أي تستر ، ومن أمثلته :

الحماية: "أن تضع دولة ما أخرى تحت حمايتها وإشرافها وتسلبها من حريتها بقدر ما يتناسب مع قوة هذه الدولة وضعف تلك، وفي الأغلب يكون للدولة المحمية شبة سيادة داخلية يمارسها حكام وطنيون تديرهم الدولة المستعمرة من خلف ستار".

-ومن أمثلة هذا الشكل للاستعمار ما فعلته فرنسا في تونس حيث وقعتا معا معاهده حماية في **12-5-1881**م ، وفعله الانجليز في مصر خلال احتلالهم لها بين عام **1914-1922**م

الانتداب :بعد الحرب العالمية الأولى ظهر شكل جديد من أشكال الاستعمار أقرته عصبه الأمم المتحدة التي تكونت حينذاك كمنظمه أممية لنشر السلام ومنع الحروب، فقد كرست عصبة الأمم نوعا جديدا من الاستعمار وهو" الانتداب " ،حيث ورد إجازته في المادة **22** لميثاق عصبة الأمم التي اعتبرته طريقة للنهوض بالشعوب القاصرة والأخذ بيد هذه الأمم لتكون قادرة على تسيير أمورها ، لكنه في الحقيقة كان مظهرا للاستعمار ووسيلة لامتصاص خيرات الشعوب

الاستعمار التام أو الاستيطاني : وفيما عدا هذين الوجهين أسفر الاستعمار عن وجهه الكالح،فأعلن عن ضمه "لبعض الدول إلى مستعمراته " كما فعلت فرنسا بالجزائر .

طبيعة السياسة التي الاستعمار القديم في مناطق نفوذه :

*استخدام أساليب قمعيه في إخضاع المستعمرات لسيطرتها مثل القتل والتدمير والعقوبات الجماعية .

*الضم و إخضاع المستعمرات لحكمها المباشر ، كما حدث عندما ضمت فرنسا الجزائر .

* تهجير السكان الأصليين،وتوطين رعايا الدول الاستعمارية وتقديم كافه التسهيلات لهم ، لضمان استمرار تدفقهم إلى المستعمرات وبقائهم فيها .

*إلغاء النظام السياسي ومظاهر الحكم الوطني للمستعمرات ، وإدارتها من قبل حكام من الدول الاستعمارية .

*نهب خيرات البلاد من خلال فرض المستعمرين سيطرتهم الاقتصادية عن طريق مصادرة الأراضي والسيطرة الاقتصادية على الموارد ،وفرض الضرائب .

*محاربة الثقافة الوطنية والقومية ، وفرض ثقافة المستعمرين ممن خلال محاربة الدين الإسلامي .

*التمييز والتفرقة العنصرية بين السكان الأصليين مثل قانون الظهير البربري .

*إهمال الشؤون الصحية ،مما أدى إلى تفشي الأمراض التي فتكت بالسكان .

*إهمال شؤون العمل ، وحرمان العمال من التشريعات العمالية ، ومنعهم من تأسيس النقابات . ومصادرة حقوقهم .

الآثار المترتبة عن السياسية الاستعمارية :

1-تجزئه المناطق المستعمرة إلى كيانات سياسيه متعددة مثل تجزئة الوطن العربي .

2-القضاء على الوحدة السياسية

3-تدهور الأوضاع الاقتصادية من خلال قيام الدول الاستعمارية بجعل مناطق النفوذ الاستعماري أسواقا لمنتجاتها .

4-استنزاف مواردها وخاصة النفطية منها ،مما أدى إلى تبعيتها اقتصاديا.

5- برز ظاهرة النعرات الطائفية والمذهبية في مناطق النفوذ الاستعماري كما في لبنان .

6- التخلف العلمي والتكنولوجي لمناطق النفوذ الاستعماري نتيجة إهمالها التعليم ،مما يبقى على استمرارية ضعفها .

الاستعمار الاستيطاني

*وجود غرباء وسط سكان البلاد الأصليين يشعرون بالنقاء و التفوق، ويمارسون إزاء السكان الأصليين شتى أنواع التمييز، وينكرون وجودهم القومي

*و يتمثل في إنشاء مستعمرات أي محطات تجاريه أو تجمعات سكانيه مأهولة بمواطني دوله معينه خارج أراضي هذه الدولة على المحليين أو لتثبيت سيطرتها على الطرق ، المعابر،المواقع الإستراتيجية ، الأراضي الخصبة أو المناجم

*شاع هذا النوع من الاستعمار منذ القرن 16و حتى منتصف القرن 20 في الكثير من الأحيان تطور فرق ثقافي و سياسي بين سكان المستعمرات وبلدانهم الأصلية مما أدى إلى انفصالهم عن دول الأم و إنشاء دول جديدة

_ وأبرز نموذج للاستعمار الاستيطاني هو الاستعمار الصهيوني لفلسطين . والاستعمار الأوروبي للعالم الجديد في الأمريكيتين (العالم الجديد) وأستراليا .فقد تم نقل سكان من أوروبا إلى المناطق المكتشفة في العالم والخالية من الحضارة الأوروبية ،كأمريكا وأستراليا وفلسطين

الاستعمار الاستيطاني في هذه المناطق

_ حصل المستوطنون على الأرض وأبادوا أو عزلوا سكانها الأصليين . وتنبثق الطبيعة العنصرية للاستعمار الاستيطاني من إيمان المستوطنين بتفوقهم الحضاري واحتقارهم للسكان الأصليين ،وشعورهم بالتفوق عليهم وتمدينهم بالقوة .

_ ركز المستوطنون على احتلال الأرض من السكان الأصليين واستعمارها وجعلها خاليه منهم ،وترحيل السكان الأصليين خارج حدود إلى الدول المجاورة.

*ترافقت بعض حالات الاستعمار الاستيطاني الأولي مع بدء عهد الاكتشافات الجغرافية و يستمد الاستعمار الاستيطاني وجوده من مرحله التوسع الاستعماري التقليدي التي أعقبت الاكتشافات الجغرافية.

*قام على أسس عنصريه تنطلق من تفوق الحضارة الأوروبية والرجل الأبيض .واعتبر العنصريون الأوربيون من أمثال اللورد آرثر بلفور أن الاستعمار الاستيطاني هو حق للرجل الأبيض في نقل الحضارة للشعوب المتخلفة ،وذلك باحتلال بلدانهم ،"ولو كان ثمن ذلك القضاء على السكان الأصليين ."

_واعتبروا أن رسالة الرجل الأبيض هي تطوير الشعوب المتأخرة

_وتحتل عملية الاستيلاء على الأرض مكان الصدارة في الصراع بين المستوطنين وسكان البلاد الأصليين ،تماما كما فعلت فرنسا في الجزائر والنظام العنصري

السابق في جنوب أفريقيا وروديسيا .

الاستعمار الجديد (الاستغلالي أو الامبريالية)

_ولى عهد الاستعمار القديم ،وبدأ عصر (الاعتماد المتبادل)، وترابط مصالح دول العالم .ولكن بدأ منذ الستينات من القرن العشرين ، استعمار من نوع آخر ، عرف ب (الاستعمار الجديد) .الذي بات امتدادا لسلفه ، سيئ الذكر ،(الاستعمارالقديم).بل ثبت أن الاستعمار الجديد أسوأ –كثيرا– من سابقه ، بالنسبة لمن ينزل بهم

_وهو أسلوب السيطرة غير المباشرة على دول معينة بأدوات اقتصادية أو ثقافية أو سياسية ،مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها مبتعدا عن أساليب الاستعمار التقليدية و استخدام وسائلخاصة في تحقيق أغراضه.

_يعرف (الاستعمار الجديد) (**Neocolonialism**) ،أو (الامبريالية) (**imperialism**) كما يشير البعض إليه ،بأنه : سيطرة دوله أقوى (نسبيا) على بلد سكانه ، وإخضاع مقدرات ذلك البلد لإرادة القوة (الأجنبية) واستغلال إمكانياتها المختلفة ،لصالح الولد المهيمنة .

وبعض الكتاب يرى أن (الامبريالية) تعتبر استعمارا غير مباشر ... أو استعمارا مخففا ...لأن (الامبريالية) تعني : فرض الهيمنة الاقتصادية – بصفة رئيسية ، مع فرض السيطرة السياسية غير المباشرة .

الوسائل التي استخدمها الاستعمار الجديد لتحقيق أغراضه :

1–عقد الاتفاقيات غير المتكافئة التي تكفل المصالح الاستعمارية في تلك الدول .

2– ربط الدول النامية بشروط تحد من حريتها .

3– استغلال المشاكل الاقتصادية والإدارية للدول الحديثة الاستقلال

4–إقامة قواعد عسكرية

5– إثارة الاضطرابات الداخلية ،والانقسامات الطائفية والإقليمية والوطنية .

مظاهر النزعة الاستعمارية الجديدة:

1–نمو المؤسسات الاحتكارية في مجالات مختلفة ،لاستغلال مصادر الموارد الأولية ، وبخاصة اللازمة لصناعة الحديد والفحم ، وامتلاك رصيد كبير من الذهب .

2–تحول المصارف المالية إلى مؤسسات احتكارية للرأسمالية وانتشارها في أماكن مختلفة من العالم .

3–تصدير رؤوس الأموال إلى الخارج ،لتسهيل التغلغل السياسي العسكري والاقتصادي ، وتكبيل اراده الشعوب الضعيفة

النتائج التي ترتبت على مظاهر النزعة الاستعمارية :

*السيطرة على بلاد معينة والتوسع من خلالها على حساب أراضي بلاد أخرى .

*إيجاد أساليب للتعامل مع أبناء المنطقة المستعمرة على أسس غير متكافئة .

*ظهور التنافس بين الدول الاستعمارية بغرض الحصول على أكبر قدر من المستعمرات.

* الوصول إلى اتفاقات لتقسيم مناطق النفوذ العالمي ،مثل اتفاقي سايكس بيكو 1916، وسان ريمو 1920م.

ظروف نشأة الاستعمار :

*انعكاسات النهضة الأوروبية والانقلاب الصناعي

*الكشوف الجغرافية حيث ساهمت التطورات العلمية في انتشار فضول علمي

*الصراع الحضاري بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي

*تراجع الدور الريادي للعالم الإسلامي

أسباب الاستعمار

*أسباب اقتصادية :

1–الحاجة إلى الموارد الأولية خارج أوروبا

2– استثمار رؤوس الأموال .

*أسباب دينية وحضارية:

1-ادعاء نشر الحضارة الأوروبية .

2-توظيف التنصير لنشر المسيحية .

*أسباب سياسية:

1- البحث عن الأمجاد القومية.

2-ظهور الزعماء المعاصرين وسعيهم إلى تحقيق أمجاد شخصية مثل بونابرت وبسمارك

*أسباب بشرية :

1- التخلص من فائض السكان .

2-إبعاد كل العناصر الغير مرغوب فيها .

أهداف الاستعمار وذرائعه :

أ.الأهداف السياسية :

-تحسين مركز الدول الاستعمارية في التنافس على المراكز المتقدمة على سلم القوى الدولي ، إذ إن تحسن المركز الدولي للدولة يوسع دائرة نفوذها في المجتمع الدولي ، ويجعلها أكثر قدرة على التحكم في القرارات الدولية وتوجيهها لصالحها ، ويمكن اعتبار مؤتمر برلين عام 1884م مؤشرا على ذلك ، فقد عقد هذا المؤتمر بسبب الصراع بين الدول الاستعمارية على مناطق النفوذ .

-أدى نمو الروح القومية في أوروبا ، وقيام دول حديثة ذات سلطة مركزية، تختلف إلى حد كبير عن ملكيات أوروبا في العصور الوسطى ،إلى اتجاه هذه الدول الحديثة إلى توسيع أملاكها داخل أوروبا أو خارجها ،إرضاء لحب السيطرة والاستحواذ وتكوين الإمبراطوريات الاستعمارية فيما وراء البحار .

- كذلك أدى للوضع السياسي والحربي في أوروبا دورا لاباس به في دفع حركة الاستعمار إلى خارج أوروبا ، فالتطاحن بين كل من انجلترا وفرنسا – على سبيل المثال-في أواخر القرن الثامن عشر، والقرن التاسع عشر ،كان له دور فعال في حركة الدولتين الاستعمارية خارج أوروبا بصفة عامة وحول آسيا بصفة خاصة .

-تفتيت العالم الإسلامي وكسر حدته والقضاء على قواه سواء الخلافة العثمانية في القرن التاسع عشر أو القوى الإسلامية الناهضة في القرن العشرين . وصد مايسمى الخطر الإسلامي .

الأهداف الاقتصادية :

*الحصول على المواد الخام : أدت الثورة الصناعية التي عرفتها أوروبا في أواخر القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر إلى حاجه الدول الأوروبية إلى المواد الخام التي اعتمدت عليها الصناعات الجديدة .

* أما في القرن الماضي ،فان التنافس الأوروبي على النفط في المناطق العربية . الذي بدأت تتضح ملامحه في الثلاثينيات بشكل واضح ،فقد اندفعت الشركات البريطانية والأمريكية والهولندية والفرنسية تتنافس في الحصول على امتيازات التنقيب عن النفط في هذه المناطق .

* إيجاد الأسواق لتصريف إنتاجها : ولدت الثورة الصناعية حركه تصنيع واسعة ، فانتشرت المصانع الكبيرة في الدول الاستعمارية، وزاد إنتاجها عن حاجة أسواقها ، فبدأت تبحث عن أسواق جديدة لتصريف منتجاتها ، وكان الاستعمار هو الوسيلة التي تضمن للدول المستعمرة السيطرة على الأسواق الخارجية مع الدول المستعمرة .

* الحصول على الأيدي العاملة الرخيصة : عملت الدول الاستعمارية لنقل الملايين من الأفراد من المناطق التي استعمرتها إلى مناطق أخرى ، من أجل تشغيلهم بأجور زهيدة أو التجارة بهم بوصفهم رقيقا .

*أما في الوقت الحاضر ، فان كثيرا من اقتصاديي الدول النامية يشيرون إلى نقل الدول الصناعية بعض مصانعها إلى الدول النامية ، للاستفادة من رخص الأيدي العاملة في هذه الدول .

* تأمين طرق المواصلات : تلجأ كثير من الدول إلى استعمار مناطق جديدة لتأمين طرق المواصلات إلى مستعمراتها في المناطق المختلفة ، من أجل حماية ممتلكاتها والمحافظة على مصالحها الحيوية ،واستخدامها محطات تجارية .

الأهداف الثقافية :

***ويتخلص الهدف الثقافي للدولة الاستعمارية في إعادة تشكيل المنظومة الثقافية لمجتمع المستعمرات ، لجعله أكثر ارتباطا بالدولة المستعمرة**

***عند إلقاء نظرة على الخريطة اللغوية للعالم ، نجد أن لغة المستعمر تحل مكان اللغة المحلية في البلدان المستعمرة ؛ فأغلب المستعمرات الاسبانية في أمريكا اللاتينية تستخدم اللغة الأسبانية لغة رسمية ،وتعد الانجليزية اللغة الرسمية لعدد من المستعمرات البريطانية مثل : الهند ونيجيريا وجنوب أفريقية ، كما تعد الفرنسية اللغة الرسمية في المستعمرات الفرنسية مثل تشاد ومالي والسنغال ، وتعد اللغة البرتغالية لغة موزنبيق الرسمية بوصفها مستعمرة برتغالية سابقة .**

***وإذا طبقنا ذلك على اللغة الثانية في عدد من الدول ، فسنجد أنها لغة المستعمر ، كما هو الحال الانجليزية في العراق ومصر والأردن ، والفرنسية في دول المغرب العربي ،وهو أمر ينسجم مع ما قاله العالم تريتشكا من : أن اللغة هي أساس التجارة المزدهرة ، إذ إن الأمة لا تفقد مستعمراتها المرتبطة بها باللغة والثقافة حتى لوانقطعت الرابطة السياسية .**

***تمكين الثقافة واللغات الأوروبية لدى شعوب المستعمرات.**

***محاربة وتشويه اللغات والثقافات المحلية.**

الأهداف الدينية :

– نشر المسيحية : ارتبط عدد من الحملات الاستعمارية بوجود بعثات وإرساليات تبشيرية دينية ، وقد نجح عدد منها في تنصير قطاعات من سكان المستعمرات ، وكان أبرز حالات النجاح في هذا المجال في الدول الأفريقية مثل جنوب السودان وجنوب نيجيريا .

***ولم تتوقف العلاقة بين حركتي التبشير والاستعمار عند نقطة المصالح المشتركة بل إنا نجد أن الأخلاقيات السيئة للاستعمار من قتل وبطش قد حصلت بمباركة وأحيانا بمشاركة رجال الكنيسة .**

***كم أن النظرة الاستعمارية الفوقية للشعوب المستعمرة هو أمر آخر تأثرت به حركة التبشير ، وفي ذلك يقول ستيفن نيل :"في القرن التاسع عشر خضع المبشرون إلى العقد الاستعمارية التي تقول بأن الرجل الغربي فقط هو الإنسان بكل ما تعنيه هذه الكلمة .....**

محاربة الإسلام : وقد كان محاربة الإسلام هدفا أصيلا للمستعمر ،ومن صوره ما ذكره الكاتبان الفرنسيان كوليت وفرانسيس جانسون فقالا: "لعل العبث بالدين الإسلامي كان هو المجال المفضل لدى القائد الفرنسي في (الجزائر) روفيجو ،فقد وقف هذا القائد الفاجر ، ونادى في قومه : انه يلزمه أجمل مسجد في المدينة ليجعل منه معبدا لإله المسيحيين ، وطلب إلى أعوانه إعداد ذلك في أقصر وقت ممكن " ثم أشار إلى جامع كتشاوة ، فحولوه إلى كنيسة بعد شلالات من الدم ، وسمي "كاتدرائية الجزائر" .

–ومن أعمال المستعمر أيضا إيجاده للفرق الضالة ورعايته لها ،فالقاديانية والبهائية نشأتا في ظل الاستعمار ولتحقيق أهدافه ، فقد نشأت القاديانية في الهند إبان الاستعمار الانجليزي 1901م

–وعلى هذا المنوال نسج المستعمرون في كل بلد نزلوا فيه ، فأثاروا الفتن الداخلية والدعوات الشعوبية أو القبلية أو المذهبية بغية تمزيق الأمة وإضعاف وحدة الشعوب المغلوبة لتحقيق أكبر المكاسب الممكنة